الفصل الاول

قصص صغيرة

عثمان ريان

كان «م» بك مساعداً لحكمدار إحدى مديريات الوجه البحرى . وكنت إذ ذاك معاوناً للادارة . وتولدت بين نفسينا مودة وألفة مبعثهما ائتلاف مشربنا فى كراهية الخدمة الحكومية .

وأدهشنى مع ملاحظتى اناقته وحسن اختياره لملبسه وعنايته بأثاث منزله وظرف أسماء أولاده جميعا أن أرى أكبرهم باسم «عثمان ريان»

أفضيت له مباسطاً بملاحظتى هذه فوجم قليلا ثم قال اليك قصة هذا الاسم ولو أنك نكأت جرحا قديما .

«كنت ملاحظا للبوليس حديث التخرج والزواج وألحقت بإحدى نقط مديرية أسيوط .

وكان للبلدة عمدة من الأثرياء وله ابن تعلم حتى الكفاءة وأخرجه من المدارس للتمرن على منصب العمودية ، اختلط بى الولد بحكم العمل ، ويظهر أنه رأى زوجتى فراقت لشيطانه وعمل

على إغرائها بكل الوسائل فلم ينجح له إغراء وأخفت المسكينة عنى الأمر .

وتوسل بحيلة جهنمية لادخال خادمة فى المنزل صنيعة له .

كنت فى عنفوان شبابى ممتلئاً غروراً وقوة فجمعت ذات يوم أشقياء البلدة إلا رهابهم وكان على رأسهم « عثمان ريان » هددته فرد بجفاء أغلظت له القول فجابهنى بأشد ورأيت له شارباً يعتز به فوسوس لى الشيطان أن أحقره وعلى ملأ من اخوانه أمرت الحلاق بقص شاربه فكان المسكين ينتفض وانتهى به الحال الى البكاء بمرارة وصاح « والله العظيم يافندى لابكيك زى مابكتنى »

ورسم القدر خطواته .

حدد ابن العمدة ليلة علم فيها أننى سأقوم بداورية منتصف الليل وأوعز الى صنيعته الخادمة بفتح باب المنزل وداهم زوجتى المسكينة وكانت حاملا وعد ومنى واوعد وأرعد بغير طائل وكان يهددها بسكين وطال الأخذ والرد وبدأ الجذب والشد حتى خارت قوى المسكينة وصرخت « آه ياقلة الرجالة » .

فى هذه الليـــلة بالذات كان عثمان ريان قد حدد موعده لاقتحام بيتى وقتلى وتسور الحائط مسلحا ورأى وسمـــع !! ثارت نخوة الصعيد ورجولته فاندفع الى الحجرة صارخا « جولك

الرجالة ياست » وأطلق عليه ابن العمدة النار فأصابه وعندما أطلق عليه عثمان مسدسه فأرداه . وأغمى على المسكينة بين منقذها والمجرم . دفن عثمان على نفقتى وبكيته ولا زلت أبكيه وهكذا بر بقسمه ميتا .

ومن عندى يذكرنى بمروءة عثمان ريان أعز من ابنى عثمان ريان .

جريمة تكشف الستار عنها « حمارة »

عام ١٩٣٢ وكنت معاونا للادارة بمركز دكرنس مديرية الدقهلية ، وانتدبت ذات صباح لعمل « ترغيب شياخة » بناحية ميت ضافر وبدأت اللجنة عملها الممل تتخلله فناجين القهوة « وشيشتى » المعهودة وهى موضع سمر أصدقائى تكرر باستمرار لأقتل الملل والسأم الذى يشعر المرء بالغثيان فلا جليس ترتاح اليه ولا عقلية يسرك نقاشها حتى كانت الساعة العاشرة واذا بحضرة « حلاق الصحة » يتقدم الى قائلا أن هناك شخصا قد توفى ويشتبه فى وفاته فأمرته بإبلاغ الحادث للمركز ولانشغال حضرة المأمور ووكيل النيابة فى حادث جنائى آخر فقد انتدبت

لتولى التحقيق .

بمناظرة الجثة وجدت زرقة فى الأطراف من علامات الموت اثر التسمم وسألت عن آخر مرة رؤى فيها القتيل فذكر أهله انه وجد ملقى على الطريق الذى يصل بلدهم بناحية كفر عبد المؤمن فانتقلت الى المكان الذى ارشدت عنه فاذا به جسر الترعة . وظهر ان القتيل وهو قوى البنية كان لشدة ألمه ينبش الأرض الى عمق كبير ثم سرنا حتى كفر عبد المؤمن .

صدقوا أو لا تصدقوا فما أقرره قد حصل .

عند وصولى منزل عمدة كفر عبد المؤمن وهو رجل شيخ مسن أغلب وقته طريح فراشه طلبت ماء لأشرب فقدم لى ابنه « ابراهيم » كوب الماء وما وقع بصرى على بصره حتى حلت فى قلبى موجة من الشك والريبة فاذا بها خوف من كوب الماء من يد ابراهيم .

طلبت نائب العمدة فحضر ومعه شيخ الخفراء وانتقلت الى دوار الأول وبدأت تحرياتى فلم تسفر عن نتيجة ولم أصل الى قرينة .

وأثناء تجوالى فى مدخل البلدة تكلمت مع أولاد صغار لا يزيد سن أكبرهم عن التاسعة وهم من المدرسة الالزامية أو

الأولية وأخذت اداعب واتساءل حتى تطرقت بحديثي معهم الى السؤال عمن يعرف القتيل فاذا بالله سبحانه وتعالى ينطق صغيرا أنه رآه يركب حمارة لونها « محمر » وذيلها أخضر !!! والله ولا حمار الحكيم !!!

وكما يتشبث الغريق في قشة تمسكت بقول الطفل وطلبت من نائب العمدة ان يرشدني عن حمارة بهذا الوصف فاحضر اربعة اوصافها تقرب منه . ومع كل صاحبها .

واعترف صاحب الحمارة إياها بان حمارته حملت القتيل من منزل دل عليه وباقتحامه وجدنا غرفة على يسار الداخل وعلى احد نوافذها ادوات الشاى وبها بقايا ... ودلل صاحب الحمارة على براءته بانه إنما اطاع امر من يخشى مخالفته !! اتدرون من هو ؟ ! انه امر ابن العمدة ابراهيم وتم القبض على ابراهيم وعلى صاحب الحمارة واتخذت الاجراءات المعتادة من قص اظافر وجيوب . وظهر من التحليل ان اظافر السيد ابراهيم بها آثار زرنيخ وهو ما اثبت التحليل ان القتيل توفى من جراء تعاطيه .

واتضح ان ابراهيم مستعملا سلطان ابيه العمدة الطريح قد ترأس عصابة للفساد احد افرادها القتيل وانهما اختلفا فأطلق القتيل النار من يومين على ابراهيم ثم التقى به فى اليوم التالى

وذكر له انه هو الذى اطلق عليه العيار النارى ولو شاء لقتله غير انه جعل الطلق تذكرة وارهابا فخشى ابراهيم على حياته ودبر له مادبر وظهر ان عصابة ابراهيم كانت تعبث فى الناحية وماجاورها فساداً وان العمدة كان « يبلع » اكثر الحوادث .

ولولا عناية الله ولطفه لاندثرت معالم الجريمة وظل ابراهيم فى غيه واعتقد انه استوفى عقابه وكان خمسة عشرة عاما .. ولعل ابراهيم يكره ذكر الحمارة حتى الساعة .

فتـــاة الوراق

فى عام ١٩٢٩ وكنت إذ ذاك معاونا للادارة بمركز امبابة ولما يمض على فيه غير ثلاثة ايام استدعانى حضره المأمور حمدى بك مرتضى وناولنى إشارة تليفونية مفادها ان بنتا ماتت اثر سقوطها من اعلى منزلها بوراق الحضر إحدى اعمال مركز امبابه وتبعد عنه بحوالى كيلومترين وان الوفاة طبيعية وكلفنى حضرته بالانتقال لا لأهمية الحادث ولكن لا تعرف بلاد المركز التابعة لى . ولتفاهة المسألة انجزت العاجل من عملى وانتقلت فى الساعة الواحدة تقريبا الى الوراق حيث قابلنى عند مدخل البلدة نائب

العمدة «زكى افندى الطويل» وهو رجل على قلة تعليمه ذكى أريب . سألته عن الحادث فأجابنى اجابة غامضة فاستفسرت منه عن سن البنت فقال إنها تبلغ العشرين وهنا استغربت سقوطها على هذا النحو الذى ورد بالاشارة وسألته عن بعض التفصيلات فقال انها كانت تشاهد حفلا مجاورا وان الحادث حصل حوالى منتصف الليل وكان هذا الحديث أثناء توجهنا الى منزل القتيلة وهو يقع فى آخر درب ضيق على اليسار .

دخلت منزل القتيلة فوجدتها وقد فرش لها فراش فى غرفة على يسار الداخل ... وكشفت عن وجهها الغطاء فلم أجد بالوجه ولا بالجسم دماء مما يكون عادة عند السقوط من علو فلم أتكلم وطلبت من أهل القتيلة وهم أب وأم وأخ وأخت وزوج أخت ان ارى مكان الحادث فصعدوا بى الى سطح المنزل وهو مربع يطل على اربعة نواح لاحظت ان سرادق الحفل الذى زعم اهل الفتاة أنها كانت تطل عليه على اليمين بينما أن المكان الذى سقطت منه على أقصى اليسار حيث واجهة البيت والباب فنزلت ولم أتكلم وعند باب غرفة القتيلة وجدت سيدة بدينة قيل لى عنها انها داية البلد فسألت سؤالا صريحا عن سير البنت وسلوكها وهل هى ثيب أم بكر ؟ فثارت ثائرة الأم وصرخت انها بنت وانه ليس

من حقى أن اسأل هذا . . .

والمرة الثانية دخلت غرفة القتيلة وأعدت فحص اطرافها متلكئا وعندها دخلت الداية الوقورة وقالت لى بلغتها الدارجة « يستر ولاياك » ووضعت فى جيبى نقودا فمددت يدى الى جيبى وقلت لها وقد ابرزت الجنيه الذى وضعته فيه « هذا لا يكفينى وان شئت أن اكتم الخبر فاخرجى الى من أعطاك هذا واطلبى منه مزيدا » فخرجت الى حيث أخ القتيلة وعندها امسكت به قائلا له أنت القاتل وسلمته الى شيخ الخفراء .

شئت تعزيزاً لهذه الاستنتاجات المفتقرة الى دليل فرأيت ان اقرب دليل فى يدى زوج اخت القتيلة وهو الغريب الوحيد فى المنزل وانتقلت الى منزل العمدة حيث كان يقضى الأجازة حضرة سيد بك ابراهيم القاضى الآن وكان إذ ذاك وكيلا للنيابة وهو اخ العمدة .

وبالحسنى اقنعنا زوج الأخت حيث ادلى بالحقيقة وهى ان الفتاة عادت ذلك اليوم متأخرة وكان اخوها يتألم من تبرجها وغيابها عن الدار وسألها اين كانت وفى ثورة غضبها قالت له « كنت ارتكب ما شئت » وجاءت داية البلد فأكدت ان الفتاة ثيبا بل وحاملا . وهنا حاول اخوها معرفة المعتدى فأدخلها

هو وأهلها غرفة للتبن على سلم المنزل واثناء عراكهم معها دفعها أخوها وسقط فوقها فماتت الفتاة من أثر الضغط وعندها عقد أهلها مجلسا عائليا تفتق ذهنهم أثناؤه عن حيلة القائها من فوق سطوح المنزل وادعائهم أنها ماتت وكاد الحادث يمر لولا ارادة الله وضعف عقلية أولئك الفلاحين .

إذ أن اكتشاف هذه الجريمة مرجعه أن أهلها لو جعلوها تسقط من الناحية المقابلة لسرادق الحفل فى سطح المنزل لما امكن فهم الحادث وثانيا انهم كانوا يجب أن يسقطوها عقب القتل فورا حتى تختلط الدماء بدم أما سقوطها بعد القتل بساعات فلم يجعل هناك ما يقرب الى الذهن فكرة وقوع الحادث حسب تصورهم .

أما علاقة هذه الجريمة بالمجتمع فهى إنسانية إذ ان أخا القتيلة ليس مجرما بالفطرة وإنما نبتت فى ذهنه فكرة الاجرام وليدة الشرف والحرص على العرض . وقد كان قضاؤنا العادل محققا الرحمة فى أوسع ظروفها فقد عاقب هذا القاتل بسنتين فقط .

ولا يفوتنى أن أذكر أن الداية الوقورة حوكمت من أجل تهمة الرشوة وأنه عند توجهى لأداء الشهادة اعطتنى جنيهين لأحسن القول فى حقها وهى تعتقد أن كل موظف يميل الى الرشوة

ففاكهت بذلك حضرة قاضى امبابة وحذرته من التمادى معها فى الأسئلة لكى لا تقدم له هو الآخر رشوة فى الجلسة العلنية وقد قضى بعقابها مع إيقاف التنفيذ معتبراً أن لها فضلا فى كشف الجريمة .

جريمة أب

تزوج امرأة وله بنت يشهد الله أنها جميلة وللمرأة ابن من آخر عاش الزوجان ومعهما ولداهما حتى ترعرعا معاً .

منزل ريفى به غرفتان يشغل الزوجان إحداهما وينام الفتى والفتاة فى الأخرى وهكذا النار والحطب فاشتعلت وكانت النتيجة أن حملت البنت . وعلمت المرأة وخشيت زوجها فأخفت الجرم وما كان أهون الحمل حتى اكتمل الحمل .

وفى غفلة وضعت حملها فى مرحاض المنزل واستدعت شريكها فى الجرم فذهل الاثنان وحارا كيف المصير ؟

حار ذهن الفتى وهو لم يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما عن جريمة تمخض عنها إدراكه المضطرب فقتل الطفل وخرج به ليلقيه فعثر

عليه وهو متلبس بجرمه أحد الخفراء .

وتقدمت الفتاة ومعها شريكها حيث نظرت القضية بدائرة سعادة عبد اللطيف بك محمد دور مايو سنة ١٩٤٥ .

الجريمة فى ذاتها وليدة جهل الأب والأم فما كان يجدر بهما أصلا أن يخلطا بين الفتيين وان تسامحنا وقلنا حصل ألم يكن من حسن الفطن أن يتزوج الفتيان ويحل المشكل ؟ فان فاتهما هذا فكيف فات إدراك الأب ما يدور حوله ؟ وإن قلنا أعمى قلب فما هو واجب الأم وقد علمت ؟ !

كان من نصيبى فى المرافعة أن أندب عن الفتى وترافع زميلى محمود يوسف عن الفتاة . وقد لاحظت المحكمة بحق هذه الظروف مجتمعة وإن الجريمة بعثت وليدة الاضطراب والذهول وأن البائسين كفاهما عقاباً من فضيحة وثلم حيث قضت بسجن الفتى سنة وكان قد قضاها وبراءة البنت .

وأشرت على الرجل والمرأة أن يتزوج الفتى ضحيته وتم ذلك .

هذه القضية الصغيرة درس وعبرة للآباء والأمهات يستلهمون منها أن الحيطة خير من العلاج وأن الجمع بين المراهقين من الجنسين خطورة لا شك واقعة فليتقوا الله وليراقبوا فلذات

أكبادهم خشية سوء المصير ومن البداهة بمكان أن نفهم جميعا أن هذه الجريمة لا تحمل معناها وإنما هو تصرف فجائى أملاه ذهن الفتى المريض ولو عوقب من أجله بأشد مما عوقب به فربما دفعه الحقد نحو المجتمع إلى التخرج من السجن مجرما ضاريا بعد أن كان مجرماً بالصدفة .

مزيف النقـــود بالمـــاى

من أعمال شبين الكوم برع فى تزييف النقود والأوراق المالية من ذات العشرة جنيهات ينشرها بواسطة أعوانه يشترون بها من الفلاحين مواشيهم .

يقبض الفلاح ثمن « جاموسته » ويخفى المبلغ أياما وما أن يظهر على يديه حتى يظهر زيفه فيدل على من اعطاه إياه فان ضبط وحقق معه أرشد الى مزيف «الماى» ينكر هذا فيفتش منزله على غير طائل

كان من نصيبى فى المرة التاسعة لحوادثه ان كلفت بالتفتيش فانتقلت ومعى قوة من رجال البوليس لمنزله ولعلى بسبق ذلك كنت يائسا من النتيجة مقدما .

جلست على سطوح المنزل مع زوجة المزيف وأرجو ان

لا تحمل الريبة فهى « كبارة » وظلت تسامر وتتظاهر بالبساطة وبأنهم مظاليم حتى انتهى التفتيش على غير طائل وهو المنتظر .

قمت لأخرج وعند نزولى على سلم المنزل وهو من الطين لاحظت وجود عرق من الخشب يبرز من الحائط بشكل يظهر انه لالزوم له فاستندت اليه فوجدته «مقلقلا» وشاهدت الاضطراب يعرو المرأة فجذبته فانكشف عن فجوة فى الحائط اعملنا فيها المعاول حتى ظهر المستور « ادوات التزييف كاملة » .

وهكذا لعبت الصدفة دورها وقضى على المزيف بعقوبته واستراح الفلاحون المساكين من عبثه واذاه .